

الأدوار الاجتماعية والتربوية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر

قسم الجغرافيا - كلية التربية
جامعة الخرطوم

أ.د. سمير محمد علي حسن الرديسي

مقدمة:

لقد درجت الأمم على الاهتمام بمعرفة سير علماءها ومصلحي شأنها حيث ظهر الكثير من المؤلفات على مدار الأزمنة التاريخية القديمة والحديثة. ويكثر في السودان تداول التاريخ الشفاهي لأولئك الأعلام إلا أن التوثيق العلمي لها يكون قليلاً أو غير موجود في الأصل. وفي جامعة الخرطوم برز الكثير من العلماء الذين اثروا الحياة العلمية والثقافية والسياسية ولا يوجد إلا شذرات من ذكر لهم هنا وهناك. ويعتبر هذا ضياعاً لثروة الفكر الثاقب الذي يمكن أن يفيد في توفير رؤى تساهم في حل بعض المشكلات الراهنة، خاصة وأن ذلك الفكر ذو ارتباط بالحياة الاجتماعية للمواطنين. وفي سبيل البدء في فتح طريق لتوثيق تلك الأدوار لأولئك الأعلام يهدف هذا المقال لإجراء قراءة استطلاعية تحليلية للأدوار الاجتماعية والتربوية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر ذات الصلة بمؤسسات التعليم العالي والعام وبالشأن المجتمعي العام لتوضيح قيمتها الاجتماعية والاستفادة منها في تكوين أنموذج يقتدى به في العمل الاجتماعي. شملت مصادر البيانات كل من السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر، والمقابلة الشخصية معه بتاريخ 29 ديسمبر 2021. اتبع الكاتب منهجاً استطلاعياً - تحليلي - Exploratory Analytical Approach أعتبره الأنسب للتعرف على ملامح وخصائص تلك الأدوار حيث اتضح وجود أدوار اجتماعية وتربوية مميزة ومقدرة تتسم بالثراء والتنوع في خدمة المجتمع العلمي والمحلي. يفتح هذا نافذة للباحثين بضرورة توثيق سير الأساتذة في الجامعات السودانية والشخصيات المؤثرة في المجتمعات المحلية أسوة ببقية الأمم.

ملامح الأدوار الاجتماعية والتربوية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر:

يتضح الملمح العام للأدوار الاجتماعية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر من قراءة سيرته الذاتية حيث يتضح وجود ارتباط قوي بين تلك الأدوار الاجتماعية وطبيعة المهام الإدارية التي اضطلع بها. ذلك أن الكثير من تلك الأدوار الاجتماعية يكون مضمناً في مهام تلك الوظائف الإدارية التي تقلدها. بجانب ذلك هناك أدوار اجتماعية وتربوية ارتبطت بمرتبته العلمية الأكاديمية «بروفيسور»، وأخرى بمحيطه المجتمعي على المستوى الدقيق. وبناءً على ذلك يمكن تقسيم الأدوار الاجتماعية والتربوية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني وفق الآتي:

الأدوار الاجتماعية والتربوية المرتبطة بالمهام الإدارية :

للمناصب الإدارية أدوار اجتماعية وتربوية واجب القيام بها ذلك أن المسؤول الإداري هو في الأساس يمثل المؤسسة التي يعمل فيها وهو الواجهة المباشرة في التعامل مع الجهات المختلفة إنابة عن تلك المؤسسة. لقد تقلد الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر عدداً كبيراً من المناصب الإدارية داخل جامعة الخرطوم وخارجها. ومن خلال تلك الأعباء الإدارية يمكن لنا رصد أدواره الاجتماعية والتربوية. وفي العادة تسود الأدوار الاجتماعية حياة الأفراد حيث يدركون أنفسهم في أطر أدوارهم التي يقومون بها. فالأدوار الاجتماعية المختلفة للأفراد ترمي لإيجاد قيمة تشكل سلوكهم بقوة تجاه الأفراد الآخرين والذين بدورهم يرون أدوار أولئك الأفراد بأنها ذات قيمة أو أنها عديمة القيمة (Wolensberger, 2000). وهناك بعض النماذج التي توضح الدور الاجتماعي للمديرين توجد في الأدبيات المتاحة وتشمل النموذج الهندسي، والنموذج الاقتصادي، ونموذج إدارة القيم، ونموذج المنظومة الرسمية، والنموذج السياسي. وتوفر هذه النماذج، رغماً عن الاعتمادية الكاملة عليها، رؤى نظرية مهمة عن علاقة الأخلاق بعملية اتخاذ القرار الإداري والذي يمكن استخدامه في تقصي الأسباب المحددة (Boatright, 1988). ويتحدد البعد الأخلاقي للإدارة في الدور الاجتماعي الذي يفهمه المديرون عند قيامهم بالمهام الإدارية. ومثال ذلك نجد أن المديرون هم العناصر العالمة نيابة عن الرئيس أو العميل، وهم الأمناء trustees لمختلف المكونات المتعاونة وهم شركاء مع المسؤولين الحكوميين

في نظام متكامل للنظام السياسي. وهناك طريقة أخرى لفهم الدور الاجتماعي للمديرين ينظر للمدراء كموظفين خادمين. وفي المجال الحكومي نجد أن السلطة التشريعية هي سلطة تخدم مصالح أولئك الذين تطبق عليهم. وعلى ذلك، يجب النظر للمديرين ليس كخدام للمشاركين stakeholders فقط، بل كخدام للمخدّمين (McMahon, 2015).

تقلد الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر رئاسة قسم الجغرافيا لعدة دورات في بواكير حياته العملية ومن المحتم قيامه ببعض الأدوار الاجتماعية والتربوية المرتبطة بذلك العمل الإداري المباشر مع الاساتذة والطلاب. وتعتبر الأقسام الأكاديمية النواة الأولى في التكوين الهيكلي الأكاديمي للجامعات. تقوم الأقسام بتنفيذ المهام التدريسية والبحثية لأعضاء هيئة التدريس والقيام بمهام الإشراف الأكاديمي للطلاب وتنفيذ الرحلات العلمية ضمن المنهج المجاز من الجامعة المعنية. وفي داخل هذه المهام الرسمية يمكن أن توجد أدوار اجتماعية لأعضاء هيئة التدريس وخاصة رئيس القسم الذي يتلمس مشاكل الطلاب الأكاديمية والاجتماعية والأسرية وحتى النفسية أكثر من غيره من زملائه أعضاء هيئة التدريس. يقوم قسم الجغرافيا بكلية التربية جامعة الخرطوم سنوياً بتنفيذ رحلتين عمليتين، إحداهما ثابتة إلى منطقة السبلوقة والأخرى لأي جزء من السودان يتم اختياره. وفي العادة تستغرق الرحلة الأخيرة هذه أسبوعين كاملين. وخلال تلك الرحلات يوجد الإشراف الأكاديمي والإداري ثم الإشراف على توفير احتياجات الأكل والشرب ومكان النوم. يتضح دور رئيس القسم أكثر من غيره من الأساتذة حيث يقع على عاتقه مهام تنظيم جميع تلك المهام منذ بدء التفكير في كيفية تنفيذ تلك الرحلات. وبحكم الظروف التي قد يمر بها الطلاب فقد تستجد أوضاع تتطلب تقديم الدعم الطبي والعلاجي حيث يتم الاتصال بتلك الجهات في بعض أصقاع الريف السوداني في أوضاع قد لا يوجد فيها كادر طبي أعلى من مرتبة ممرض. يمتد الدور الاجتماعي والتربوي لرئيس القسم لمساعدة الطلاب المعسرين مالياً بالاتصال بالجهات الرسمية داخل الجامعة أو خارجها أو ببعض أعضاء هيئة التدريس لمقابلة حل تلك المشكلة. كما قد يعاني بعض الطلاب من بعض المشاكل الأكاديمية مما يتطلب من رئيس القسم السعي لحلها مع إدارة الكلية أو أستاذ المادة وغيرهما.

تتسع دائرة مهام رئيس القسم وتزداد الأدوار الاجتماعية والتربوية عند

تولي أحد أعضاء هيئة التدريس مهام عمادة الكلية. يقوم عميد الكلية بمهامها نيابة عن مدير الجامعة وبذلك يعتبر مسؤولاً عن جميع العاملين فيها من طلاب وأساتذة وعاملين بجانب التعامل مع الجهات الخارجية وخاصة المجتمعية. وهنا تتعدد الأدوار من الأدوار الأكاديمية الرسمية إلى الأدوار الاجتماعية والتربوية المتشعبة. ففي مجتمع واسع كهذا تختلف وتعدد المشكلات. تقلد الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مهام عمادة كلية التربية في الفترة بين 1990-1994م بذل خلالها جهوداً اجتماعية مقدرّة على سبيل المثال وليس الحصر توليه مهام المنسق لاتفاقية التعاون والتبادل بين كلية التربية جامعة الخرطوم وكلية التربية جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد تمكن عدد من أعضاء هيئة التدريس بالكلية من الذهاب لجامعة بنسلفانيا وتنفيذ عدد من البحوث في مجال التربية أكسبتهم الخبرة البحثية والاستفادة من أجواء البحث العلمي في العالم المتقدم. كما تقلد مهام رئاسة لجنة عمداء كليات التربية السودانية 1990-1991م إبان توليه مهام عمادة كلية التربية والتي كان عددها قليلاً آنذاك مما استدعى طرح الحلول لمواكبة الطلب المتزايد على المعلمين في السودان نتيجة للنمو السكاني والطلب الإقليمي للمعلمين. وقد ساهمت بعض تلك الجهود في هيكلة تدريب المعلمين في السودان كما سيأتي ذكره وفي تطوير فلسفة وأدوار كليات التربية. كما وفرت تلك الجهود في اكتساب ثلاثة وخمسون وظيفة جديدة لمساعدتي التدريس لمختلف الأقسام والتعيين عليها من خريجي الكلية المتميزين وثلاثة عشر وظيفة تقني جديدة لمعامل الكلية المختلفة بجانب تسوير الكلية من الناحية الشمالية.

اتسعت الأدوار الاجتماعية عندما تولى الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مهام منصب نائب مدير جامعة الخرطوم بالتكليف. ومن المتفق عليه أن للجامعات أدوار في إعداد القوى البشرية اللازمة والمدرّبة للنهوض بالمشروعات الاقتصادية والاجتماعية وتزويدها بالمعارف والقيم التي يتطلبها العصر الحديث (عبد الحي، 1998). وتهتم جميع الجامعات في العالم بتقديم الخدمات الاجتماعية والتربوية للمجتمعات المختلفة داخل الدولة الواحدة بالتركيز على المجتمعات الفقيرة. وقد عهدت جامعة الخرطوم دعم القوافل الطلابية المختلفة التي تهتم بتقديم الخدمات الطبية والإرشاد الزراعي وغيرها. يتم دعم هذه القوافل من عمادة الطلاب وفق ميزانية تخصصها الجامعة إضافة لجمع الدعم من الجهات الأهلية والاتصال بالإدارات المحلية في المناطق

المستهدفة والتي توفر مكان الإقامة وبعض الدعم الممكن تقديمه. وهنا يلعب نائب مدير الجامعة دوراً اجتماعياً واضحاً في دعم تلك القوافل الطلابية. ويعتبر هذا جزءاً من النمو المهم للمعرفة والبحث ونشر التحديث لتغيير الدور الاجتماعي والتربوي للجامعات في العالم «المتعولم». ضمن مفاهيم متعددة. أحد هذه المفاهيم والأكثر شيوعاً والتي تستخدم للاقترب من تلك التغيرات في مجتمعات ما بعد-التصنيع وبعد-الحدثة هو مفهوم «مجتمع المعرفة». وهنا يتوقع هنا أن للجامعات أدوار واضحة بالاعتبار لمختلف تساءلات مجتمع المعرفة حيث من الممكن تحليل استخدامات هذا المجتمع كوسيلة تتسم بالعقلانية (Valimaa et al. 2008).

يقدم مركز ترقية الأداء الأكاديمي والذي عدّل اسمه إلى مركز جامعة الخرطوم للتدريب المتقدم مؤخراً، الكثير من الدورات التدريبية لمنسوبي التعليم العالي تهدف لترقية أدائهم التدريسي والبحثي. وقد عمل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بأكبر كأول مدير متفرغ لذلك المركز فترة من الزمان قدّم فيه جهوداً واضحة لم تقتصر فقط على تلك الدورات التدريبية بل امتدت تلك الجهود بأن تقدم بعض الجهات العالمية مثل اليونيسكو بعض الدورات التدريبية المتخصصة. وقد صدف ذلك السنوات الأولى لتأسيس المركز من حيث ساهم في وضع لبنته بتخصيص الموقع الحالي وتأثيثه وتوفير المعينات اللازمة للتدريب والتي تبلورت في تطويره ليصبح «مركز جامعة الخرطوم للتدريب المتقدم». لقد ساهم ذلك المركز كثيراً في دعم تأهيل منسوبي الجامعات السودانية الجديدة مما رقي من الأداء التدريسي والبحثي لمنسوبيها. وظل يقدم خدماته المستمرة لأعضاء هيئة التدريس والباحثين والأطر البشرية العاملة بالجامعات والكليات المتخصصة والمعاهد العليا والمراكز البحثية والوزارات والمؤسسات العامة والخاصة ولكافة شرائح المجتمع بما يتناسب مع احتياجاتهم بأحدث التقنيات والأساليب، وبما يمكنهم من التعامل مع معطيات العصر برصديجيد من الخبرات والمهارات وفقاً لمعايير الجودة الشاملة (مركز جامعة الخرطوم للتدريب المتقدم، 2016).

بحكم أن الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بأكبر قد منح مرتبة الأستاذية في عام 1990م وبعد أن أكمل فترة العمادة لم ينقطع دوره الريادي في مجالس كلية التربية ومجالس جامعة الخرطوم. تحتاج عضوية هذه المجالس لرأي ذوي الخبرة والدراية بالشأن الإداري والطلابي في اقتراح

الحلول للمشاكل المستجدة أو إبداء الرأي في البرامج الأكاديمية المقترحة من قبل الكليات أو القوانين واللوائح والنظم التي تقترحها الجامعة لتطوير الشأن الأكاديمي والإداري. وفي هذا الجو المشبع بروح المسؤولية والخبرة تبرز الأراء الحصيفة من هذه الفئة من الأساتذة والتي يكون محصولها تقدم الجامعة أو الكلية. وقد تأكد ذلك في الدور للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر في المساهمة في تطوير مشروع بحثي مع اثنين من العلماء بجامعة بايروييت بألمانيا حول الهوية في السودان حيث تم من خلاله الحصول علي أربعة منح للتخصير لدرجة الدكتوراة بجامعة بايروييت. كما عمل مطوراً ومنسقاً لاتفاقية التعاون والتبادل مع جامعة بادوفا بإيطاليا وتم من خلالها توفير ست منح للتخصير للدكتوراة لمحاضرين بجامعة الخرطوم. لقد كثر التعاون العالمي في البحث العلمي وتجلّى في البحث العلمي المشترك وفي زيادة التركيز على التسهيلات العالمية في العلوم الكبيرة وبروز البرامج التعاونية المشتركة. ولجميع هذه الجوانب فوائد مباشرة على البحث العلمي وفوائد استراتيجية واقتصادية وسياسية غير مباشرة للمجتمعات (Georghiou, 1998).

كان من السمات الواضحة للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر اهتمامه الكبير بالنشاط الرياضي. كان يشارك طلاب الكلية نشاطهم الرياضي في كرة السلة في دار رابطة طلاب كلية مما يسهم بالتأكيد في دعم الروح التنافسية بين الطلاب وفي شعورهم بمشاركة أساتذتهم لهم في هذا المضمار، بجانب التأكيد على أهمية النشاط غير الأكاديمي من قبل الكلية. وبحكم تلك العلاقة القديمة مع النشاط الرياضي وبروزه في الجامعة كلّف بمهمة تمثيل جامعة الخرطوم في الاتحاد الرياضي للجامعات السودانية والتعليم العالي لفترة ستة أعوام متتالية في الفترة 1978-1983. كما تم اختياره نائباً لرئيس الاتحاد الرياضي للجامعات والمعاهد العليا في السودان ثم رئيساً لوفد السودان المشارك في دورة الاتحاد الرياضي العالمي للجامعات والمعاهد العليا بالمكسيك عام 1979 حيث شارك باللعب ضمن الفريق. لقد بدأ ذلك النشاط الرياضي محدوداً خلال المرحلة الثانوية في مجال كرة السلة ثم توسع خلال عمله معلماً في المدرسة كنشاط تربوي مع التلاميذ واستمر طيلة فترة الدراسة بمعهد المعلمين العالي، وبالمشاركة في المنافسات على مستوى فرق الدرجة الثانية والأولي وفي فريق كرة السلة الأول لمعهد المعلمين العالي. واستمر ذلك النشاط بعد تعيينه مساعداً للتدريس ثم محاضراً. اشترك في تدريب الطلاب

واشراف علي النشاط الرياضي بالكلية وشارك مشاركة فعلية باللعب مع الطلاب في منافسات كليات الجامعة. لقد عرف النشاط الرياضي بأن له قدرة على تخفيف حدة العديد من المشاكل الاجتماعية وعلى وجه العموم فهو» يحسن الأفراد والمجتمعات التي يوجد فيها»، ويقدم الدور الاجتماعي للرياضة المحتوى السياسي والتاريخي لهذا الاهتمام الحكومي المتزايد في المساهمة الفاعلة للرياضة في العديد من المشكلات الاجتماعية (Coalter, 2007).

لم يقتصر الدور الاجتماعي والتربوي للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر على جامعة الخرطوم فقط بل امتد ليشمل جهات أخرى خارجها تولى مهامها الإدارية. لقد عمل رئيساً لمجلس كلية التربية عطبرة وهي كلية تم تأسيسها لتأهيل معلمي المرحلة الثانوية في البلاد بسبب النقص الكبير في التخصصات العلمية والرياضيات واللغة الإنجليزية. وتحتاج عملية التأسيس كالعادة لبذل الجهود وفق رؤى وأهداف محددة توضع النظم واللوائح عليها. ويعظم دور رئيس المجلس في تلك الأحوال خاصة وأنها كلية لا تتبع لأي جامعة بل تتبع مباشرة للمجلس القومي للتعليم العالي والبحث العلمي. وقد رفدت تلك الكلية بالكثير من معلمي المرحلة الثانوية ثم أصبحت نوأة لجامعة وادي النيل هي وكلية الهندسة الميكانيكية عطبرة. بحكم الخبرة السابقة والمساهمات القيّمة للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر فقد أصبح مديراً لتلك الجامعة. لقد دعمت الخبرة السابقة التي اكتسبها في كلية التربية جامعة الخرطوم وإنابة نائب مدير الجامعة وكلية التربية عطبرة في بلورة أدواره الاجتماعية أكثر خاصة وأن منصب مدير الجامعة يعتبر منصباً سيادياً تخول له السلطات الاضطلاع بكثير من المهام الاجتماعية التي تشمل طلاب الجامعة ومنسوبيها من الأساتذة والعاملين، ثم تمتد لتشمل المجتمع المحلي. يتفق هذا مع أهداف إنشاء الجامعات الجديدة في عام 1994 وهو تنمية المجتمعات المحلية، ليس برفدها فقط بالخريجين بل بالقيام بالأدوار الاجتماعية والتنموية والتربوية الأخرى الواجب القيام بها والتي ينص عليها قوانين تلك الجامعات. تتوزع كليات جامعة وادي النيل على امتداد ولايتي نهر النيل والشمالية قبل قيام جامعة دنقلا، وهي مساحة جغرافية واسعة تحيط بها الصحراء من جميع النواحي ويتركز السكن والأنشطة الاقتصادية على ضفتي النهر. ورغم توفر مقومات التنمية إلا أن هذه المجتمعات تعودت على تقديم الدعم الأهلي خاصة وأنها قد اعتادت على هجرة أبنائها إلى الخارج منذ عقود طويلة، وفي

تلك الأحوال يمكن لتلك الجامعة الاستفادة من تلك الإيجابيات لدعم الممكنات في ما تقدمه من تنمية اجتماعية من خلال دورها الرئيس في خدمة المجتمع. يمكن لنا القول بأن جميع هذه الجهود يمكن أن توضع في إطار الدور الاجتماعي والتربوي للأستاذ Professor الجامعي حيث يلاحظ هنا ومنذ أن منح الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مرتبة الأستاذية قد وضح دوره كثيراً. وهنا قد يتبادر سؤال فحواه ما «القيادة الذكية» وكيف يمكن فهم هذا المفهوم بصورة جيدة في الجامعة الحديثة؟ (Macfarlane, 2013). يمكن القول بأن القيادة الذكية هي مقابل يوازن الثقافة الإدارية السائدة في التعليم العالي، كما يمكن فهمها كنشاط تحويلي. لقد وجد عند تحليل الدور الوظيفي حيث ينشأ في الغالب عدم اتفاق بين «المهنية أو المكونات الخارجية» و«الجامعة أو المكونات الداخلية». ومن وجهة النظر هذه، نجد أن من يحملون لقب «بروفيسور» في الجامعات القيادية في الغرب يقال أنهم يركزون على المكونات المهنية لأدوارهم. وعلى نقيض ذلك نجد في اليابان في الماضي أن من يحمل لقب «البروفيسور» يرمي لتأكيد المكونات المحلية المرتكزة على الجامعة - university centered. وفي السنوات الحديثة نقل الكثير ممن يحملون لقب «بروفيسور» طاقتهم بعيداً عن هذه المكونات التي تركز على الجامعة وأصبح بعضهم «مهنين» بالمعنى الغربي، ولكن هناك آخرين أصبحوا يهتمون بالمظهر، بينما ظل آخرون يعملون بالسياسة (Cummings et al. 2007).

اتسع الدور الاجتماعي والتربوي للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر ليشمل أدواراً رئيسية في فترة توليه بعض المهام الإدارية بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي. تميزت سياسات التعليم العالي في السودان في أوائل التسعينات من القرن الماضي بالتوسع في التعليم العالي الأهلي والأجنبي. لم يعهد السودان ذلك النوع من التعليم في السابق إذ كان يوجد التعليم العالي المدعوم من الدولة والمتمثل في العدد القليل من الجامعات والمعاهد العليا الحكومية. ومع التوسع في التعليم العالي الحكومي اقتضت الضرورة إعطاء الفرصة للقطاع الخاص لدعم مسيرة التعليم العالي لإنشاء الكليات والجامعات الأهلية والخاصة، وبالمثل للجهات الخارجية بتأسيس الكليات والجامعات الأجنبية. ويعتبر التعليم العالي الخاص هو أكثر القطاعات دينامية وأسرعها نمواً عند بداية القرن الحادي والعشرون. لقد ارتبط الطلب المتزايد على التعليم العالي وعدم قدرة أو عدم رغبة الحكومات في توفير الدعم الضروري إلى أن يأتي التعليم العالي

الخاص في المقدمة. وقد حدث توسع عالمي في هذا القطاع في معظم أرجاء العالم الذي يعتمد على القطاع العام. وارتبط بذلك ظاهرة «تخصيص المؤسسات العامة في بعض البلدان». ومع فرض الرسوم الدراسية والمصروفات الأخرى فقد أصبحت المؤسسات الخاصة والعامة تشبه بعضها البعض. وقد ساد نظام التعليم العالي الخاص في اليابان والبرزيل وبيرو والمكسيك ودول وسط أوروبا وغيرها (Altbach, 1999). وبصرف النظر عن أوجه القصور التي ارتبطت ببعض هذه المؤسسات إلا أنها موجودة في دول أخرى، ومنها اهتمامهم بالعملية التدريسية أكثر من البحوث العلمية وأنها لم تطور إلا تنوعاً محدوداً وجزئياً وذات جودة منخفضة مقارنة بالمؤسسات العليا القديمة (Teixeira et al. 2001). وعلى وجه العموم يظهر التأثير الاقتصادي لمؤسسات التعليم العالي واضحاً حيث ترى المناهج التقليدية زيادة في الإنفاق بواسطة الجامعة كوسيلة لخلق وظائف جديدة داخل الدولة ولتوسيع القاعدة الاقتصادية للدولة، بينما أدخلت الدراسات الحديثة منهجية جديدة تضع الاعتبار أيضاً للزيادات في قاعدة المهارات في الدولة كجزء من الأثر الاقتصادي (Brown et al. 1997).

حددت سياسات التعليم في السودان أهداف تلك المؤسسات وبرامجها الأكاديمية وأدوارها الاجتماعية التي تحتاج لها ضروب التنمية في البلاد. تولى الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مهام مدير إدارة التعليم الأهلي والأجنبي كأول مدير لتلك الإدارة بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي حيث ساهم في وضع لبناتها الأولى ووضع اللوائح والقوانين المنظمة والمعززة لجودة الأداء في المؤسسات وتلتبغ تنفيذ ما يليها من أدوار اجتماعية. ارتفعت أعداد تلك المؤسسات ارتفاعاً واضحاً وأضحت سمة بارزة من سمات التعليم العالي في البلاد. لقد وفرت تلك المؤسسات الفرص لأبناء السودانيين المقيمين في الخارج، والذين كانوا يرسلون أبنائهم لدول الجوار أو لبعض البلدان البعيدة وما يتبعه من تكاليف مالية ترهق كاهل تلك الأسر، أو ما يتعرض له أبنائهم من غزو فكري وثقافي. كما وفرت فرص لأبناء الأسر المستطبعة في الداخل وأيضاً لأبناء الأسر الفقيرة المتميزون من خلال المنح المجانية التي تقدمها تلك المؤسسات أو تخفيض الرسوم الدراسية أو تقديم المساعدات العينية. ومن هنا يتضح دورها الاجتماعي الذي كان يشرف عليه تلك الإدارة في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. وفي منحنى آخر بشأن التعليم العالي تقلد الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر بجانب إدارته للإدارة العامة للتعليم العالي الأهلي

والأجنبي مهام إدارة التقويم والاعتماد وهي إدارة مسؤولة عن تقويم الشهادات الجامعية الصادرة من خارج السودان ومضاهاتها بتلك المعتمدة من الوزارة عبر مؤسساتها الجامعية المختلفة.

من تلك المحطة أصبح الاستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر رئيساً للجنة الإقليمية لليونسكو بالمنطقة العربية لتقويم ومعاادلة واعتماد الدرجات والشهادات لبرامج التعليم العالي- الإقليم العربي، ثم رئيساً للجنة الإقليمية للشبكة العالمية للتحديث في الجامعات في المنطقة العربية التابعة لكرسي اليونسكو للتعليم العالي- الدول العربية- وعضو اللجنة التنفيذية لتلك المنظمة ومقرها بمدينة برشلومة بإسبانيا. ومن هذه المناحي يمكن لطلاب التعليم العالي النظر لتعلمهم بمثابة استثمار يعطيهم فوائد مباشرة في سوق العمل وفي نفس الوقت فان العلاقة بين الاعتماد التربوي وعائداتهم من سوق العمل قد شهدت تغيرات في الأزمنة الحديثة. يحدث هذا في وقت يدرك فيه الطلاب في بريطانيا مثلاً حسب أحد الدراسات بأن مؤهلاتهم الأكاديمية لها دور متناقص في تشكيل مخرجات توظيفهم في ما تم إدراكه بأن يكون سوق عمل للخريجين والذي يتسم بالمنافسة والازدحام. وبينما يرى الاعتماد الأكاديمي كبعد ضروري لإمكانية توظيفهم فان الطلاب يرون بصورة متزايدة ضرورة إضافة قيمة لهم لكي يكتسبوا مميزات سوق العمل (Tomlinson, 2008). ومن خلال ذلك يمكن وجود الكثير من الأدوار الاجتماعية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر خاصة وأن الدور الاجتماعي للتعليم يعرفه الجميع، وأقله تعليم الكتابة والقراءة ونشر الوعي بما يمكن الأفراد في المجتمع من التعامل بفهم مع مستجدات الحياة ومع أفراد مجتمعه. وتكامل ذلك الدور مع مهام إدارة الجودة التي تقلدها الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر. تختص تلك الإدارة بتطبيق معايير الجودة على مؤسسات التعليم العالي الحكومي والأهلي والأجنبي وفق معايير سودانية وعالمية. ويترتب على ذلك تطور البيئة الجامعية والأداء التدريسي والبحثي لأعضاء هيئة التدريس مما يمكن من إجراء عملية التصنيف والترتيب لتلك المؤسسات على المستويات الداخلية والإقليمية والعالمية. لقد صممت طرائق أذخار ضمان الجودة في التعليم العالي وكأنها عملية تقنية بينما قد يكون من المفيد النظر إليها كعملية سياسية. ولتأكيد ذلك نجد، مثلاً أن ضمان الجودة يتطلب إجراء خيارات بين أفكار متنافسة للجودة وعندها يتم إعطاء بعض المميزات فوق الأخرى. ولذلك من الواجب

وضع الاعتبار بأن « ضمان الجودة هي مجال اجتماعي مشيد من محصلة للقوى» (Skoinik,2010). يخلق التصنيف الجامعي جو المنافسة واستدامة السعي للتفوق وتحقيق المراتب العليا حيث برز أسماء بعض تلك المؤسسات مثل جامعة الخرطوم وجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا في ترتيب الجامعات وفق مقياس ويتيماكس. ويعتبر نشر ثقافة الجودة عبر إدارتها ذو مردود اجتماعي من خلال توفير البيئة الاجتماعية للطلاب وهي أحد معايير الاعتماد لتلك المؤسسات. وبالطبع تساهم تلك البيئة المتكاملة في رفع الأداء الأكاديمي للطلاب وتسهل عملية التدريس عند توفر المعينات التدريسية المطلوبة والمتطورة المواكبة لمستجدات الحداثة في هذا المجال.

لقد شارك الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر في إعداد وتطوير وتنفيذ برامج التدريب على أساسيات الجودة والتقويم والاعتماد بمؤسسات التعليم العالي في السودان. فقد أنشأ الهيئة العليا للتقويم والاعتماد كإدارة تابعة لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالسودان في 2003م. وقد كان قائداً لإعداد وتطوير كل المعايير والمؤشرات والأدلة لضمان جودة مؤسسات التعليم العالي في السودان. وقد اقتضى ذلك أن تكون هناك دورات تدريبية وورش عمل لتدريب أعضاء هيئات التدريس بمؤسسات التعليم العالي على تلك المفاهيم. وقد كان طيلة رئاسته للهيئة العليا للتقويم والاعتماد، القائد للجانب التي قامت بتصميم وتنفيذ تلك الدورات التدريبية والتي غطت في فترة وجيزة معظم مؤسسات التعليم العالي في السودان. وقد كان لذلك التدريب أثر واضح في نشر وتعزيز ثقافة الجودة والتقويم بمؤسسات التعليم العالي في السودان (مذكرة حمود، 2021). ومن فوائد تطبيق التقويم والاعتماد في مؤسسات التعليم العالي (سالم و محجوب ، 2016) وضع معايير أداء لنوعية التعليم المختلفة، وضمان درجة معقولة من الجودة في أداء مؤسسات التعليم العالي، وتقديم الأساس الذي تبنى عليه عمليات التطوير والتحديث المستمرة، والمساعدة على تطوير وتقديم المهنة التي تخدمها برامج المؤسسة الذي يتم تقويمها أو اعتمادها، والتأكيد على أن المؤسسة ذات أهداف واضحة ومناسبة وأن تقدم الطرق والوسائل التي تساعد على تحقيق هذه الأهداف، وضمان خصوصية المؤسسة وتفردتها، ذلك لأن نظم التقويم والاعتماد تضع في حساباتها أهداف البرامج أو المؤسسة الأم، وتتأكد من أن المؤسسة تعمل على تحقيق هذه الأهداف ما دامت نابعة من المجتمع وملائمة لحاجاته، والتقريب بين البرامج الجامعية في شتى مؤسسات التعليم

العالي للوصول إلى المستوى المعياري المتعارف عليه في العالم المتقدم، وتعزيز سمعة البرامج لدى المجتمع الذي يثق بعمليتي التقويم الداخلي والخارجي، وتوفير آلية لمساءلة جميع المعنيين بالإعداد والتنفيذ والإشراف على البرامج الأكاديمية.

عمل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر رئيساً للجنة الفنية التي أنجزت الدراسة للحصول على الدعم المالي لتطوير التعليم العالي والعام من البنك الأفريقي - ومن ثم متابعة التنفيذ وكان من النتائج الحصول على 10 منح للدكتوراة و21 منحة للماجستير بجامعة بحر دار بأثيوبيا «تعليم نظامي»، وكذلك 90 منحة لدراسة الماجستير عن طريق التعليم عن بعد بنفس الجامعة إضافة إلى أجهزة معمل حاسوب متكامل لكلية التربية- جامعة الخرطوم. ويسهم هذا في توفير أطر بشرية لتطوير الإدارة والتخطيط للتعليم في السودان إذ أن درجة الماجستير التي تمنحها جامعة بحر دار تسمى ماجستير الآداب في الإدارة والتخطيط التربوي. ويظهر هنا الدور الاجتماعي واضحاً في أحداثه نقله نوعية لعدد من المعلمين في التعليم العام ليصبحوا مدراء ومخططيين يعينون الوزارة الاتحادية في أعمالها التطويرية بحكم أنهم يعملون عند القواعد الإدارية التابعة لتلك الوزارة ويحيطون علماً بواقع الحال، أي أن التخطيط سيكون من الأسفل-الأعلى bottom-top ويعتبر الأنجح لأنه يأتي من المصادر المباشرة الواقعية وليس من الأطر النظرية لمنظري التخطيط.

عمل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر على دعم التعليم العالي داخل السودان وخارجه من خلال تدريسه لعدد من المقررات الجغرافية في جامعات وطنية وإقليمية في الأردن والكويت، وتأليف عدد من الكتب المنهجية و/أو المرجعية للتعليم العام والعالي في مجالات الجغرافيا وضمان الجودة والتعليم عن بعد، وهي تطورات أملتها المقتضيات العالمية للتطور في التعليم العالي. وتسهم هذه التحولات في رفد سوق العمل بخريجين ذوي مهارات عالية بجانب قدرتهم على خلق فرص العمل الشخصية أو ما يعرف بريادة الأعمال حيث ثبت أن الطلاب المتخرجين من مؤسسات التعليم العالي يمتلكون رغبة أعلى ليصبحوا رجال أعمال مما يسهم في صياغة السياسات التعليمية ولصناع القرار لمراجعة نظام التعليم العالي الجاري لعمل التغييرات لحث الطلاب لولوج عالم ريادة الأعمال (Ertuna, et al.2011) وخاصة ممن يتلقون التعليم عن بعد وهو في الأساس تعلم ذاتي في الغالب.

أصبح الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر عضواً في المجلس القومي للتعليم العالي من خلال رئاسته لهيئة التقويم والاعتماد وكذلك للجنة الدراسات التربوية التابعة لذلك المجلس وبذلك الذي أصبح مشاركاً في وضع السياسات التعليمية للبلاد وجميعها يعمل على التطور العلمي ومحصلته تحقيق التنمية والأمن الاجتماعي. وقد انجزت تلك اللجنة الكثير من المهام منها قيام كليات التربية بشقيها الثانوي والأساس في معظم الجامعات السودانية والتأكد من قيامها وفق معايير التعليم ال عالي السوداني من حيث البنية التحتية والمناهج وأعضاء هيئة التدريس وغيره. لقد جذب موضوع جودة الخدمات التعليمية المرتبط بجودو المؤسسة التعليمية اهتماماً مقدراً في قطاع التعليم العالي وهو موضوع تحتاج لادخال كافة الشركاء من طلاب وأساتذة وعاملين لإنجازه (Abdullah, 2006). ففي إطار اختلاف الطلاب تعتبر منهجيات التدريس والتعليم هي التي تشجع وتدعم الطلاب للارتباط بمؤسساتهم ودراساتهم ولذلك تزيد ارجحية نجاحهم الأكاديمي واستمراريتهم (Crosling et al., 2009). وقد وضعت تلك اللجنة ما يعرف بكلية التربية «النموذج» وسعت لتطبيقها في مختلف الجامعات السودانية الحكومية. وبحكم رئاسته لتلك اللجنة فقد بذل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر دوراً كبيراً في نشرها حيث اتضح لاحقاً دور تلك الكليات في تنمية وتطوير المجتمعات المحلية التي أنشأت فيها. كما عملت على استمرار الطلاب وبقاءهم في تلك المؤسسات خاصة وأن هناك من المواضيع المعاصرة في التعليم العالي هو موضوع بقاء الطلاب ومواصلتهم للدراسة (Crosling et al., 2009).

لقد كان للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر أدوار تربوية في مجال تصميم وإعداد البرامج الدراسية لمؤسسات التعليم العالي في السودان وفي المشاركة الفاعلة في إعداد وتصميم وتنفيذ البرامج التدريبية للأستاذ الجامعي. فقد شارك في إعداد وتطوير البرامج والمقررات الدراسية بكلية التربية في معظم الجامعات السودانية التي تم إنشاؤها في فترة التسعينات من القرن الماضي، وقد كانت إدارات تلك الجامعات تكلفه رئيساً لتلك اللجان التي يتم تشكيلها لذلك الغرض، وفي كثير كان من الأحيان كان يتم تكليفه برئاسة تلك اللجان ويترك له أن يختار من يشاركه في عضوية تلك اللجان، وذلك ثقة من تلك الإدارات الجامعية بتجاربه الثرة في تلك المجالات (مذكرة حمود، 2021).

ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة النيل الأزرق (الدامزين).
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة القضايف (القضايف).
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة البحر الأحمر (بورتسودان).
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة بخت الرضا لكل من برنامجي إعداد معلم المرحلة الثانوية، وبرنامج إعداد معلم التعليم الأساسي.
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة كسلا لكل من برنامجي إعداد معلم المرحلة الثانوية، وبرنامج إعداد معلم التعليم الأساسي.
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة الدنج لكل من برنامجي إعداد معلم المرحلة الثانوية، وبرنامج إعداد معلم التعليم الأساسي.
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة كردفان (ولاية شمال كردفان) لكل من برنامجي إعداد معلم المرحلة الثانوية، وبرنامج إعداد معلم التعليم الأساسي.
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة غرب كردفان بمدينة النهود لكل من برنامجي إعداد معلم المرحلة الثانوية، وبرنامج إعداد معلم التعليم الأساسي.
- برنامج بكالوريوس التربية بجامعة الإمام المهدي بولاية النيل الأبيض لكل من برنامجي إعداد معلم المرحلة الثانوية، وبرنامج إعداد معلم التعليم الأساسي.
- تقلد الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مهام تأسيس ورئاسة الاتحاد المهني لأساتذة الجامعات والمعاهد العليا السودانية والذي وضع دور الاجتماعي والتربوي الكبير في دعم الأساتذة في توفير قطع سكنية في المخططات التي تطرحها الشركات العقارية بنظام التقسيط والمساهمة في العلاج داخل وخارج السودان، وفوق ذلك دعم مطالبهم في موضوع الهيكل الراتبى والمحافظة على حقوقهم المشروعة في الترقى وغيره. بجانب ذلك كان له دور كبير في إنشاء وحدات التقويم بالجامعات الحكومية والأهلية والتي تسعى لتطوير وترقية تلك المؤسسات. تمشياً مع التحولات العالمية التي حدثت في التعليم العالي في العالم منذ أوائل السبعينات من القرن الماضي. لقد إتخذ التعليم العالي ثلاثة مراحل من النمو والتطور: (1) التركيز على الصفوة ذات السمات العقلية والشخصية الواضحة والتي ستكون طبقة الحكام، أي التجهيز لأدوار الصفوة، (2) التحول الجماهيري للقدرات والتجهيز لمدى أوسع من الأدوار الاقتصادية للصفوة، (3) التأقلم العالمي «لكل السكان» للتغير الاجتماعي والتقني السريع (Trow, 2007).

ومن خلال توليه مهام ذلك الاتحاد فقد شارك الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر في إعداد وتطوير وتنفيذ برامج تدريب وتطوير وترقية الأداء المهني للأستاذ الجامعي في السودان كان للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الباقي عبد الغني بابكر أدوار واضحة وأصيلة في تأكيد ضرورة التطوير المهني للأستاذ الجامعي في مؤسسات التعليم العالي في السودان (مذكرة حمود، 2021)، وعلى سبيل الأمثلة لا الحصر:

المشاركة الفاعلة في إعداد وتنفيذ برامج التطوير المهني للأستاذ الجامعي الذي كان يقدمه الاتحاد المهني لأساتذة الجامعات والمعاهد السودانية، وهي دورات تدريبية شملت الغالبية العظمى من مؤسسات التعليم العالي في السودان سواء كانت مؤسسات حكومية أو أهلية أو خاصة، كما كان عضواً في اللجنة العلمية لبرنامج التطوير المهني للأستاذ الجامعي الذي كان يقدمه الاتحاد المهني لأساتذة الجامعات والمعاهد السودانية.

المشاركة في إعداد وتطوير وتنفيذ معظم برامج التدريب المهني للأستاذ الجامعي الذي ظل يقدمه مركز جامعة الخرطوم للتدريب المتقدم، وهو المركز الأول لتطوير وترقية الأداء المهني للأستاذ الجامعي في السودان. ومن تلك البرامج التدريبية على سبيل المثال لا الحصر: برنامج التدريب على النظم وأساليب التدريس الجامعي، وبرنامج أخلاقيات مهنة التعليم الجامعي، وبرنامج القياس والتقويم للطالب الجامعي. وقد وجدت برامج هذا المركز إقبالاً واسعاً من أساتذة مؤسسات التعليم العالي في السودان وفي العديد من الدول العربية. وما يزال هذا المركز يقدم برامج متقدمة في مجالات ترقية الأداء المهني للأستاذ الجامعي. ولا بد من الإشارة هنا أن بروف عبد الباقي كان مديراً لذلك المركز في إحدى دوراته الإدارية.

المشاركة في تنفيذ عدد من البرامج التدريبية في إطار التطوير المهني للأستاذ في عدد من مؤسسات التعليم العالي في السودان، وهي دورات تنظمها تلك المؤسسات خارج إطار برامج مركز التدريب المتقدم بجامعة الخرطوم. لم يقتصر الدور الاجتماعي والتربوي للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر على مؤسسات التعليم العالي السودانية من خلال توليه تلك المناصب والمهام بل شمل أيضاً التعليم العالي في العالم العربي حيث عمل عميداً لكلية التربية بالجامعة العربية المفتوحة، ومناوباً لنائب مدير الجامعة العربية المفتوحة للشؤون الأكاديمية ثم رئيساً لمجلس الجامعة

العربية المفتوحة. وقد تم افتتاح فرع لتلك الجامعة في السودان وأسهمت مثل مؤسسات التعليم الأهلي والأجنبي السودانية في تقديم أدوار اجتماعية واضحة في دعم الطلاب الفقراء، إذ تقوم في الأساس لتحقيق هذا الهدف، إذ لا يفرض فيها رسوم دراسية على الطلاب بل تعتمد على جلب الدعم من الأغنياء وميسوري الحال داخل وخارج السودان.

تكاملت تلك الأدوار الاجتماعية والتربوية مع أدوار أخرى في قطاع التعليم العام. فعندما فكرت الدولة في تطوير تدريب معلمي التعليم الأساسي في أوائل التسعينات توجهت الأنظار نحو معاهد تدريب المعلمين وكيفية تطويرها. تمخضت تلك الجهود عن قرارات بتحويل تلك المعاهد للجامعات على أن تصبح برامج أو كليات تحت مسمى بكالوريوس التعليم الأساسي. وقد كلف الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر برئاسة لجنة الاشراف على القيام بتلك المهمة. ويظهر الدور الاجتماعي والتربوي هنا في ما تحقق لأولئك المعلمين من الحصول على أوضاع أفضل تمثلت في رفع المستوى التدريبي والوظيفي لهم وأصبحوا أسوة بخريجي الجامعات، رغمًا عن بعض المسالب التي ارتبطت بتلك التجربة التي لا تزال مطبقة في الجامعات السودانية. بجانب ذلك عمل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر رئيساً للجنة تطوير مناهج التعليم العام 1991 - 1995، وفي عضوية عدة لجان تطوير التعليم بوزارة التربية والتعليم. ويعتبر السعي لتطوير هذا القطاع عملاً استراتيجياً تقوم به الدول لتقويته لمواكبة المستجدات المحلية والعالمية. ولا تقتصر تلك السياسة على تطوير المناهج المدرسية فقط بل تشمل البيئة المدرسية الداخلية والخارجية، واستقطاب الدعم من الجهات ذات الصلة، وتطوير تدريب المعلمين والذي أنشئ له مركزاً متخصصاً يتلقى فيه المعلم تدريباً كل خمسة أعوام بعد تعيينه في وظيفة «معلم» يجدد له بعدها رخصة مزاولة مهنة التعليم. ولأول مرة في تاريخ التعليم في السودان ينشئ مركزاً متخصصاً لتمهين التعليم والذي عرف باسم مجلس المهن التربوية السودانية وهي جسم مهني مستقل تحت سلطة مجلس الوزراء حيث شغل الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مهام أول رئيس له ومؤسس له. من المؤكد أن لذلك المجلس أدوار تربوية اجتماعية استطاع رئيسه من خلال الاضطلاع بالقيام بها، ويمكن تلمس تلك الأدوار من دراسة دواعي ومبررات تمهين التعليم في السودان (عبد الوهاب والبشير، 2016) يوفر قاعدة معرفية حديثة للمعلمين ومهارات متنوعة

لممارسة المهنة. وتجعل المعلم يلتزم بالسلوك المهني والالتزام بالميثاق الأخلاقي للمهنة، وبحكم أن مهنة التعليم من أهم المهن وأطهرها وأشرفها وبالتالي هي الأجدر والأولى أن يسن تراخيص لممارستها لضمان حق الأفراد في توفير معلمين أكفاء لأبنائهم، ويساعد في استكمال جوانب عملية إعداد المعلم، كما يساهم بفاعلية في تحديث معلومات المعلم، فالتربية بصفة عامة والتدريس على وجه الخصوص يشهد في السنوات الأخيرة ظهور نظريات جديدة في المنهج ونماذج التدريس بشكل مستمر، ويمثل المعلم المصدر الرئيسي في نقل المعرفة والقيم والمهارات لطلابه. والمعلم لن يتمكن من أداء هذا الدور الحيوي، إلا إذا كان معداً إعداداً جيداً لمهنة التدريس، وقادراً على التعلم والتدريب الذاتي والمستمر، وباحثاً عن المعرفة ومستقصياً عن كل ما هو جديد في مجال، كما تساهم برامج التنمية المهنية للمعلم في تعديل الخبرات السابقة للمعلم وإعادة توجيه الخبرات السابقة في ضوء المتطلبات اللازمة لإعداد منتج تعليمي جيد، كما يساهم في تجويد تفاعل المعلم مع عناصر المنظومة التعليمية، ويكون أداء المعلم وتفكيره وأساليب تنفيذه للمنهج وطرائق تدريسه محصلة لتفاعل بين مهاراته وجوانب شخصيته والبيئة التعليمية التي يوجد فيها وبين ما يشارك فيه من برامج تنمية مهنية بصورة دائمة، كما يحث المعلم على المشاركة في صنع واتخاذ القرار التعليمي والتربوي وعلى وجه الخصوص في اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسات التعليمية وبالمناهج وطرائق تدريسها والبيئة المدرسية والقيادة المدرسية، كما أن تمهين التعليم يضمن للمعلم المهني مرتباً مجزياً وترقية إلى وظيفة أعلى وذلك طبقاً لنتائج الاختبارات الدورية التي يمكن تطبيقها على المعلم بشأن هذا الغرض .

المهام غير الإدارية وأدواره الاجتماعية والتربوية:

يمكن لنا تمييز عدة أدوار اجتماعية وتربوية ارتبطت بعدد من الأنشطة المختلفة ذات الصلة بالمؤسسات التعليمية بشقيها العام والعالي وب تخصصه الرئيس. كان الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر مشاركاً في عضوية المجلس الاستشاري لأساتذة جامعة الخرطوم التي تضم في عضويتها بعض كبار الأساتذة في مرتبة الأستاذية وتعمل على تقديم المشورة لمجلس الأساتذة في ما يلي أعماله الأكاديمية والقانونية المرتبطة بالنظم واللوائح. وبالطبع تساهم تلك المشورة في تطوير الجامعة مما ينعكس على مستوى أدائها العلمي أو

الاستثماري أو الاجتماعي. ويعتبر الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر أحد مؤسسي الجمعية الجغرافية الوطنية السودانية ثم رئيساً لها، وفي نفس الوقت كان عضواً في الجمعية الجغرافية السودانية التي تأسست عام 1964 في قسم الجغرافيا بكلية الآداب بجامعة الخرطوم. وبحكم أن لهذه الجمعيات أدوار اجتماعية واضحة أهمها نشر الوعي البيئي ومناقشة قضايا التنمية فبالنظر إلى لعب أعضائها ورئيسها دوراً مقدراً لتنفيذه. وطوال فترة توليه لتلك المهمة أقيمت عدة ندوات وتم تبادل الزيارات مع الجمعية الجغرافية السعودية التي قامت بزيارة للسودان تم فيها زيارة مناطق شندي وكنانة وغيرها، كما وأجريت اتصالات مع الجمعية الجغرافية المصرية. وامتد الدور الاجتماعي والتربوي ذي الصلة بالجمعيات الجغرافية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر للعمل عضواً في المجموعة العاملة في إدارة الموارد الأراضي القاحلة التابعة للجمعية الجغرافية العالمية. ويأتي الدور الفعال هنا في إجراء البحوث العلمية المطلوبة وتقديم المساعدة في تنفيذه حيث تتطلب في أحوال كثيرة ضرورة الاتصال بالمجمعات المحلية أو الجهات الرسمية ومن هنا يبرز هذا الدور واضحاً.

لقد كان للدور الاجتماعي والتربوي للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر تأثيره الواضح والقوي في مجال التعليم العام. فبحكم عمله رئيساً للندوة التربوية في السودان وهي هيئة طوعية تضم خبراء وقياديين تربويين من كليات التربية والتعليم العالي تعمل على ترقية العمل التربوي في السودان فقد تطلب ذلك ضرورة البحث عن القضايا والمشكلات التربوية ومن بينها مثلاً تلك المتعلقة بكليات التربية وكيفية المساهمة في تطويرها وحل مشاكلها وكذلك مشكلات إعداد المعلم وتدريبه... الخ. يستدعي هذا وضع الرؤي والبحث عن الدعم الممكن وتنفيذ ما يتم طرحه من مقترحات وحلول. ويتكامل هذا الدور مع دوره عندما عمل رئيساً للجنة عمداء كليات التربية السودانية وتأسيسه للندوة التربوية في السودان في الفترة 1991-2011، وهو دور يستدعي التواصل مع المنظمات الدولية ذات الصلة بالتعليم مثل اليونسكو والاتحادات العالمية المختلفة وإمكانية ما يمكن أن تقدمه من دعم لقطاع التعليم. وقد تمخض عن تلك الجهود الدعم الذي قدمه الاتحاد الأوروبي لتطوير التعليم الأساسي في السودان بالتركيز على بعض الولايات التي عانت من ويلات النزاع القبلي والحروب. ونفذ ذلك المشروع عدداً من المدارس الجديدة وتأهيل الكثير منها

بجانب تدريب المعلمين ثم امتد ليشمل معالجة بعض مشاكل كليات التربية السودانية وخاصة في مجال تدريب أعضاء هيئة التدريس واكسابهم بعض المهارات بغرض نقلها لطلابهم في تلك الكليات.

يضطلع المركز القومي للمناهج والبحث التربوي بمهام محددة وفق قانونه الأساسي. ولتنفيذ ذلك يستعين هذا المركز بالخبراء وأهل الرأي لتنفيذ مهامه، وله مجلس يضم في عضويته تلك المجموعة من الخبراء والتي كان من بينهم الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بأكبر. وقد نجح ذلك المركز في تحديث المناهج في السودان وتطبيق المنهج المحوري ثم العودة مرة أخرى لمنهج المواد المدرسية المنفصلة في مرحلة التعليم الأساسي وفق ما اقتضته ضروريات المرحلة في السودان. ويرتبط بهذا الدور ما قام به الأستاذ الدكتور عبد الغني عمله رئيساً للجنة مراجعة وإعادة تصميم منهج المرحلة الثانوية في السودان وظهر دوره كثيراً في نشر الوعي البيئي من خلال منهج مادة الجغرافيا وهو ضرورة لاستدامة الموارد الطبيعية، بجانب المشاركة في وضع ومراجعة وتقويم مادة الجغرافيا في الشهادة الثانوية لمدة أربعة وعشرون عاماً. وبالتأكيد لهذا العمل أدواره الاجتماعية التي تتجلى في تطوير هذه المادة المدرسية لتستوعب حركة المجتمع وأنشطته الاقتصادية المختلفة وتأثيرها على البيئة وما يتبعه من مشاكل تتطلب نقلها وشرحها للطلاب للوعي بها عندما يذهبون للجامعة وينخرطون في التخصصات العلمية المختلفة.

المهام الاستشارية وأدوارها الاجتماعية والتربوية:

إضافة لما ذهبنا إليه من ذكر للأدوار الاجتماعية والتربوية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني التي تجلّت من خلال توليه للمناصب الإدارية أو غير الإدارية يوجد ما يعرف بالأدوار الاستشارية والتي لا تخرج محصلتها النهائية عن وجود أدوار اجتماعية لها. من أمثلة ذلك موضوعات تقييم معاهد تدريب المعلمين- وزارة التربية والتعليم، وتقييم الجامعات الجديدة في السودان- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وتقييم آليات ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي في الدول العربية- اليونيسكو المكتب الإقليمي للدول العربية، التعليم العالي العابر للحدود ومردودات الجودة- اليونيسكو مكتب الدوحة، قيام نموذج استدامي لإدارة التعليم - برامج بناء القدرات لكليات التربية الأساسية- وزارة التعليم العالي بالتعاون مع بنك التنمية الأفريقي، ضمان الجودة في

السودان المفاهيم والتطوير والعمليات والتحديات- اليونيسكو المكتب الإقليمي للدول العربية، مراجعة اللقاء العربي الإقليمي حول دراسات تقويم ومعادلة الشهادات الدرجات العلمية في التعليم العالي في الدول العربية. ويمكن التطرق لبعض الأدوار الاجتماعية لهذه الموضوعات كأمثلة يمكن من خلالها معرفة بعض الأدوار الاجتماعية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر:-

تطوير تدريب المعلمين في السودان:

توضيح أوجه القوة والضعف والفرص والتحديات في مؤسسات التعليم العالي الجديدة التي تمكن من صياغة السياسات المطلوبة. تطبيق معايير ضمان الجودة والاعتماد لمؤسسات التعليم العالي السودانية يكفل لها مواكبة المعايير الوطنية والعالمية لتوفير البيئة التعليمية المطلوبة مما ينعكس على الإداء التحصيلي للطلاب. يوفر التعليم العالي العابر للحدود فرصاً لشرائح من المجتمع قد تكون محرومة منه لأسباب اقتصادية أو اجتماعية وبذلك يساعد في تحقيق العدالة الاجتماعية.

بناء قدرات أعضاء هيئة التدريس بالجامعات السودانية يطور العمل التدريسية والبحثية ويرفع من درجات التصنيف لهذه المؤسسات. دعم الدرجات دون البكالوريوس يتيح الفرص للكثير من الناجحين في امتحان الشهادة الثانوية السودانية والذين كان من الممكن أن يعتبروا فاقداً تربوياً خاصة وأن معظم الدبلومات المطروحة في الجامعات السودانية هي دبلومات تقنية ترفد حاملها للعمل الحر الذي أصبح مطلوباً لحل مشكلات البطالة وانتظار الوظيفة الحكومية التي قد تأتي متأخرة وفي الغالب ذات مداخيل مالية ضعيفة. ويزيد الدور الاجتماعي والتربوي للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر عن ما تطرقنا له أعلاه في الجانب الاستشاري إذ يتواصل ليشمل عقد الدورات التدريبية (ساهم في عقد 18 دورة تدريبية) لرؤساء وحدات التقويم بالجامعات الحكومية والأهلية وبعض أعضاء هيئة التدريس. كما عمل رئيساً وعضواً لهيئات استشارية ومقوم لعدد مقدر من الدورات العلمية المحلية والاقليمية ومقوم لعدد مقدر للأبحاث بغرض النشر، ورئيس لعدد مقدر من اللجان لتصميم أو تقويم وتطوير مناهج كليات التربية في السودان بمرحلة البكالوريوس والدراسات العليا. ومقوم لعدد

من أبحاث المتقدمين للترقيات بعدد من الجامعات الوطنية والإقليمية، وعضو لجنة الترقيات بعدد من الجامعات الوطنية والإقليمية مثل جامعات القضايف، وبحري ووادي النيل، وجامعة الإمام محمد بن سعود، والجامعة العربية المفتوحة والمركز القومي للمناهج والبحث التربوي، وغيرها.

الصلات بالمجتمع المحلي وأدواره الاجتماعية والتربوية:

ترأس الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر رئاسة اتحاد طلاب معهد المعلمين العالي دورة 1964-1965 عندما كان طالباً بالمعهد. وفي العادة يقوم رؤساء اتحادات الطلاب بالكثير من الأدوار الاجتماعية منها إدارة الأنشطة الطلابية المختلفة واستقطاب الدعم من الجهات الرسمية والأهلية والتصدي لمعالجة مشاكل الطلاب المختلفة. وتكسب تلك الأدوار من يقوم بها الكثير من الخبرات في العمل العام بل والسياسي. كما اهتم الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابتكر بالنشاط الكشفي والذي يعرف له الكثير من الأدوار التربوية منها الاستكشاف والاعتماد على النفس وحل المشكلات وغيرها، حيث التحاق بقرقة الكشفة منذ السنة الثانية بالمدرسة الثانوية واستمر النشاط بعدها بعد التعيين كمعلم بالمرحلة المتوسطة وأصبحت معلم فرقة بمدرسة الخرطوم الوسطى والعمل خارجها في كشافة منطقة الخرطوم. بجانب ذلك ساهم في توسيع النشاط الكشفي وتدريب التلاميذ والشباب علي تحمل المسؤولية والاعتماد على النفس من خلال الرحلات والمعسكرات والعمل الميداني والمساهمة في الإصحاح البيئي والعمل الوطني الطوعي العام مثل سد النقص في المستشفيات والعمل كممرضين أثناء فترات إضراب الممرضين والعاملين، وغيرها. بجانب ذلك فقد اهتم بالنشاط المسرحي الذي بدأ مع العمل كمعلم بالمرحلة الوسطى كنشاط تربوي تم استمراره خلال فترة معهد المعلمين العالي ضمن جمعية المسرح بإشراف الأستاذ الفكي عبدالرحمن (عليه رحمة الله)، وتوسع لتقديم بعض الأعمال من خلال الإذاعة والتلفزيون بمرافقة ومشاركة الممثل والمخرج المعروف مكي سنادة والذي زامله في معهد المعلمين العالي. وللمسرح أدوار في نشر الوعي الاجتماعي تجاه الكثير من قضايا المجتمع بجانب أدواره في بسط الترفيه وخلق أجواء اللقاء الاجتماعي بين أفراد المجتمع وتخفيف حدة واقع الحياة المعاش.

إضافة لجميع تلك الأنشطة فقد تولى رئاسة لجنة مسجد السجانة العتيق 2001-2017 حيث تم توسيعه وصيانته بجانب والإشراف العام عليه.

وبحكم إنتماء الأسرة لطائفة الختمية فقد شارك الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر في أنشطة الطائفة الختمية مع أشقائه في منطقة السجانة. ولطائفة الختمية وغيرها من الطوائف الدينية الأخرى أدوار اجتماعية وتربوية ملموسة في المجتمع السوداني، سواء في الريف أو الحضر. بجانب هذا الدور هناك دور اجتماعي يعرفه الكثيرون من منسوبي كلية التربية.

ملخص الخصائص العامة للأدوار الاجتماعية والتربوية:

من استطلاع وتحليل موضوعات الأدوار الاجتماعية والتربوية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر يمكن أن تتضح مجالاتها وملامحها في الآتي:

تنوع مجالات الأدوار الاجتماعية والتربوية حيث شملت مجالات العمل الرئيسي المرتبط بالتعليم العالي والعام وغير الرئيسي المجتمعي. تنوع الأدوار الاجتماعية والتربوية داخل مؤسسات التعليم العالي والعام حيث ركزت على تقديم أدوار تلك المؤسسات المنوط بها أدائها. تنوع الأدوار الاجتماعية والتربوية التي اهتمت بمجتمع الطلاب والمجتمع المحلي.

تؤكد هذه الأدوار الدور الريادي للأستاذ الجامعي على وجه العموم، ومن هم في مرتبة الأستاذية على وجه الخصوص كما تؤكد الشواهد والدلائل العالمية.

من المؤكد أن هذه الأدوار الاجتماعية والتربوية لها مردودات عامة يمكن أن نشير لبعضها، وليس لجميعها:-

توفير قاعد بيانات لأنماط الدور الاجتماعي والتربوي للأستاذ الجامعي. توضيح الكثير من القضايا المجتمعية التي تحتاج للعب أدوار اجتماعية وتربوية في السودان مما يساعد في استكشافها ووضع البرامج والخطط لحلها أو تخفيف وطأتها من قبل الجهات الرسمية وغير الرسمية. المساهمة في ترقية دور المؤسسات التعليمية من خلال تقوية أدوارها المجتمعية والتربوية.

تساعد في إعادة تطوير سياسات التعليم العالي تجاه المجتمع وتركيزها على معالجة هذه القضايا مما ينعكس إيجاباً على التماسك المجتمعي.

الخاتمة:

باعتبار الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر أحد رواد وأعلام جامعة الخرطوم وكلية التربية وأحد أعلام الجغرافيين السودانيين فقد ساهمت جهوده المجتمعية والتربوية حين توليه المناصب الإدارية المختلفة، أو من خلال جهوده على المستوى المجتمعي الدقيق في دعم بعض فئات المجتمع السوداني من خلال ما قدمه من أدوار تمس بالتأكيد الكثير من مشاكلها والتي قد تكون ذات ارتباط بقضايا السودان عموماً. عليه، يمكن مواصلة البحث في توضيح الأدوار الاجتماعية والتربوية لكثير من الأعلام السودانيين مما يمكن من توثيقها ضمن برنامج متكامل تتبناه الجهات الرسمية في الدولة حيث يوفر ما ورد هنا من توثيق للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر حجر أساس يبني عليه.

المصادر والمراجع :

- (1) سالم، محمد سعد محمد، و محجوب، زين العابدين حسن. 2016 «معايير ضمان الجودة والاعتماد لبرامج إعداد المعلم بكليات التربية السودانية» في رؤى وتجارب في إعداد وتأهيل المعلمين، تحرير الرديسي، سمير محمد علي حسن. دار جامعة الخرطوم للنشر، ص.ص. 93-108.
- (2) السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر
- (3) عبد الحي، رمزي. 1998. التعليم العالي والتنمية، ط 1، دار الوفاء لنديا الطباعة، الاسكندرية.
- (4) عبد الوهاب، الطيب، و البشير، محمد مزمّل. 2016 « تمهين التعليم الدواعي والمبررات» في: رؤى وتجارب في إعداد وتأهيل المعلمين، تحرير الرديسي، سمير محمد علي حسن. دار جامعة الخرطوم للنشر، ص.ص. 73-92.
- (5) مذكرة حمود، على حمود. 2021. مشاركات بروفيسور عبد الباقي عبد الغني بابكر مجال تصميم وإعداد البرامج الدراسية لمؤسسات التعليم العالي في السودان وفي المشاركة الفاعلة في إعداد وتصميم وتنفيذ البرامج التدريبية للأستاذ الجامعي.
- (6) مركز جامعة الخرطوم للتدريب المتقدم. 2-16. معاً لخلق بيئة تدريبية متطورة. Information technology and network administration – U of K.
- (7) المقابلة الشخصية مع الأستاذ الدكتور عبد الباقي عبد الغني بابكر - كلية التربية بتاريخ 2021/12/29.
- (8) Abdullah, F.2006. The development of HEDPERF: a new measuring instrument of service quality for higher education sector. International journal of consumer studies 30 (6): 569581-.
- (9) Altbach, P.G. 1999. Private higher education: themes and variations in comparative perspective. Prospects 29 (3): 310323-.
- (10) Boatright, J.R.1988. Ethics and the role of the manager. Journal of business ethics 7 (4), 30331-.

- (11) Brown, K.H., Heaney, M.T. 1997. A note on measuring the economic impact of institutions of higher education. Research in higher education 38 (2): 229240-.
- (12) Coalter, f. 2007. A wider social role for sport: who's keeping the score, Routledge, Taylor and Francis Group. London.
- (13) Crosling, G., Heagney, M., Thomas, L. 2009. Improving student retention in higher education. Australian universities review 51 (2): 918-.
- (14) Cummings, W.K., Amano, I. 1977. The changing role of the Japanese professor. Higher education 6 (2): 209234-.
- (15) Ertuna, Z.I., Gurel, E. 2011. The moderating role of higher education on entrepreneurship. Education+ training 53 (5): 387402-.
- (16) Georghitou, L. 1998. Global cooperation in research. Research policy 7 (6): 611626-.
- (17) Macfarlane, B. 2013. Intellectual leadership in higher education: renewing the role of a university professor. Routledge, Taylor and Francis Group. London.
- (18) McMahon, C. 2015. Managerial ethics and the ethical role of the manager. Wiley Encyclopedia of Management, 14-.
- (19) Skoinik, M. 2010. Quality assurance in higher education as a political process. Higher education management and policy 22 (1): 120-.
- (20) Teixeira, P., Amaral, A. 2001. Private higher education and diversity: an exploratory survey. Higher education quarterly 55 (4): 359395-.
- (21) Timlinson, M. 2008. The degree is not enough" students' perceptions of the role of higher education credentials for graduate work and employability. British journal of sociology and education 29 (1): 4961-.

- (22) Trwo, M. 2007. Reflections on the transition from elite to mass to universal access: forms and phases of higher education in modern societies since WW11. International handbook of higher education, 243280-, 2007.
- (23) Valimaa, J., Hoffman, D.2008. Knowledge society discourse and higher education. Higher education 56 (3): 265285-.
- (24) Wolfensberger, W. 2000. A brief overview of social role valorization. Mental retardation 38 (2), 105123-.